جامعة محمد خيضر ـ بسكرة ـ

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

المحور الرابع: الصياغة التاريخية

المحاضرة الثانية

(التركيب التاريخي)

مقياس منهجية وتقنية البحث التاريخي (02)

المستوى: ثانية ليسانس

السداسي الرابع

المحاضرة الثانية: التركيب التاريخي

بعدما يتحقق الباحث من صحة الحقائق التي تقدمها المصادر التاريخية المتوفرة بحوزته، يقوم بسلسلة من عمليات تسمى التركيب وهي مهمة جدا في منهج البحث التاريخي، لها ارتباط وثيق بنوع وكمية المادة التي حصلها، فيتم التركيب تبعا لنوع الحقائق التاريخية التي تم التوصل إليها (عثمان، د.ت، ص 158).

لابد على المؤرخ أن يكون ذا عقل واع وذهن مرتب ومنظم حتى يميز بين الحوادث وينسق أنواع الحقائق ويوظفها في جزئيات موضوع الدراسة، ولكي يكون له القدرة على تحديد العلاقة بين حوادث التاريخ زمانا ومكانا والربط بينها على نحو متسق، إذا افتقد المؤرخ صفة الوعي وملكة الترتيب والتنظيم تختلط عليه الأحداث وتضطرب تفصيلاتها ويعجز عن الربط بينها (الجندي، د.ت، ص 14).

1- ميزات الحقائق التاريخية:

- قد يصل الباحث إلى حقائق متنوعة عن اللغة، العادات، الأحداث، النظم، ويكون هذا الكم غير متجانس من الحقائق، غير مرتب وغير مقسم، وهي صفة التنوع تتميز بها الحقائق التاريخية فعلى الباحث تقسيمها حسب النوع.
- تتفاوت الحقائق التاريخية في التعميم والتخصيص من حقائق عامة تشمل شعبا كاملا لفترة من الزمن إلى حوادث خاصة بشخصية ما فيجب على الباحث هنا أن يصنف الحقائق المتشابهة حسب التعميم أو التخصيص.
- تتحدد الوقائع التاريخية بالمكان والزمان وإذا تم إلغاؤهما فقدت المشخصات التاريخية.
- تختلف الروايات التاريخية في مدى احتمال الصدق فيها فهناك الثابتة، والمحتملة الصدق وأخرى ضعيفة ومشكوك في صحتها (عثمان، د.ت، ص ص 158- 159).

2- أنواع الحقائق التاريخية:

الأصول التاريخية مكتوبة أو شفوية تقدم لنا ثلاث أنواع من الحقائق:

- وجود كائنات حية وأجسام مادية: فالوثائق تخبر بوجود أشخاص ومنتجات وفنون، فالباحث يجد أمامه الحقائق من خلال تصور كاتبها وليس من خلال رؤيتها الآن، بالمقابل على الباحث ان يؤسس صورة عقلية في ذهنه مشابهة للصورة التي وجدت في أذهان من رأوه وسجلوا وصفه بالكتابة.
- أفعال الإنسان: حيث أن الأصول التاريخية تسجل لنا أقواله وأفعاله في الماضي، والتي دونها صاحب الأصل التاريخي عن طريق المشاهدة أو السماع لكنها أمام الباحث مجرد صور ذاتية مستمدة من الكتابة.
- الدوافع والتصورات: كل الأفعال التي أتاها الإنسان في مختلف الحقب الزمنية كانت بمحرك دوافع، دافع العمل، الإنتاج، الحكم، الزواج، الحرب، التجارة، التوسع، الاستعمار، كما تدل هذه الأفعال على تحقيق الأهداف التي سعى إنسان الماضي إلى انجازها، فكاتب الأصول التاريخية تكونت له الدوافع والتصورات فدونها في أصوله، والباحث في التاريخ يصل إلى أحداث الماضي عن طريق الخيال المستمد من الوقائع التي حدثت حيث يكون صورة مقاربة بناءا على وجود رابطة واتصال بين الماضي والحاضر، علما أن هذا التشابه ليس مطلقا (عثمان، د.ت، ص ص 160- 162)، ولقد اشترطت جل الكتابات الغربية والعربية أن يكون الباحث أو المؤرخ له صفة الخيال الخصب للربط بين الحوادث (الجندي، د.ت، ص 14).

التصور التاريخي ليس مطلقا مجموعة من الظواهر المستقاة من عدة جوانب فلا يكفي تصور الأشخاص أو الأفعال أو الأشياء كعناصر مستقلة عن بعضها، فكل له ذاته وهو جزء من مجموع عام، وعلى أساس كل هذه المجموعات تتشكل حوادث التاريخ، لذلك على الباحث تصور العلاقة القائمة بين مختلف العناصر أفكار، آراء، أقوال، أفعال، شعوب، حكومات، اقتصاد، حروب، فنون، علوم، آداب. (عثمان، د.ت، ص ص 160- 162).

3- مفهوم التركيب التاريخي:

هو صياغة الفرضيات والقوانين المفسرة للحقيقة التاريخية، حيث يكون الباحث قد تحصل على معلومات وحقائق تاريخية مبعثرة، فتأتي عملية التركيب والتي هي استعادة الوقائع والأحداث التاريخية (الاسترداد reconstruction)، هو عملية تنظيم الحقائق التاريخية الجزئية المتناثرة وبناؤها في صورة أو فكرة متكاملة من ماضي الإنسانية.

لا تتحقق عملية التركيب بمجرد جمع المعلومات والحقائق وإنما بالبحث والكشف والتفسير والتعليل عن أسباب الوقائع وعن علاقة الحتمية والسببية بينها، وينتهي التركيب التاريخي باستخراج وبناء النظريات والقوانين العلمية الثابتة في الكشف عن الحقائق التاريخية (جيدير، د.ت، ص ، 113، ص 115).

4- كيف يقوم الباحث بعملية التركيب؟:

- جمع الروايات والوثائق الخاصة بكل واقعة تاريخية معينة وتصنيفها في مجموعات لفهمها كل على حدى، لمعرفة العلاقات السببية التي تربط بينها، ويتم التصنيف على أكثر من أساس، الزمان، الطبيعة إذا كان سياسي أو عسكري أو ثقافي أو اقتصادي... (الوافي، 2008، ص 148).

- تكوين صورة فكرية واضحة لكل حقيقة متحصل عليها.

- سد الفجوات التي تبرز لنا بعد عملية التوصيف والتصنيف والترتيب للمعلومات، وتملأ الفراغات المذكورة عن طريق المحاكمة التركيبية السلبية، وعن طريق إسقاط الحادث الناقص في الوثائق على أساس أن السكوت حجة، وقد تكون المحاكمة ايجابية عن طريق استنتاج حقيقة لم تشر لها الوثائق (جيدير، د.ت، ص 114).